قراءة الافكار

وعدنا في الجزء الثالث ان نبسط هنا اشهر الآراء في تعليل قراءة الافكار ولم نعنِ بذلك ان الناس حلوا هذه المعضلة او ان احدًا كشف سرّها وانما اردنا بيان اشهر ما قيل في تعليلها لان كل ما جاء به الناس في تعليلها لا يفي بالمطلوب ولا يزال سرّها مجهولاً . الآن كثيرون تفرّغوا للبحث فيها والبعض يجهدون العقول في تعليلها ولذلك نبطت الآمال بقرب ظهور حقيقتها وانكشاف سرّها

ان اشهر آراء الناس في تعليل قراءة الافكار يندرج تحت قسمين الاول ان الانسان يعرف افكار غيره من الشعور بحركات اعضائه ويسمّون ذلك بقراءة العضلات والثاني انه يعرفها بقوّة تؤثر في دماغه فتحدث فيه عين الافكار والصور والعواطف الحادثة في دماغ غيره

فالاول ينضح من معرفتنا افكار غيرنا واميالهم بمراقبة حركات وجوههم وابدانهم كما نستدلّ على الغضب من تقطيب الحاجبين وجحوظ العينين مثلاً وعلى المرض من انبساط السحنة وابراق الاسرّة وعلى اشتداد عاطفة المودّة من شدّ يد الصديق ليد صديقه الى غير ذلك مما لا يخفى على احدٍ . والناس يتفاوتون في الاستدلال على ضمائر غيرهم بمراقبة حركات عضلاتهم فربّ انسان يدرك بها امورًا كثيرة لا يدرك الآخر شيئًا منها وربّ انسان يشعر بحركات كثيرة في عضلات غيره لا يشعر الآخر بشيء منها . وتتفاوت الناس في ذلك يجري على درجات كثيرة حتى ان الناظر في اولها لا يكاد يصدق بالحد الذي يتنهي اليه آخرها . فقد رووا ان فتاة انكليزية كانت تعري ذراعها اليمنى من اللباس وتمسك يدها قلمًا وتجلس على كرسيّ امام الكرسي المجالسة امها عليه ثم تمس امها ذراعها فوق المرفق بقليل فتكتب الفتاة وتصوّر ما تراهُ امها بعينيها من الكلمات والصور . ذلك كلهُ والناس حضور وهي موجهة ظهرها الى امها فلا تراها ولا تسمع صوتها . وقد ادّعوا انهُ ثبت لهم بالتجربة انهُ متى رأت الامّ الكلمة او الصورة وجمعت افكارها عليها تحركت اصبعها على غير قصد منها كما تتحرّك لو خطت بها الكلمات او رسمت الصور . ولكن هذه الحركات تكون اخفى من ان تشعر بها في نفسها او احدٌ غيرها من الحاضرين الّا ابنتها الفتاة . وذلك اذا ثبت دلّ على امرين احدهما ان الشعور قد يبلغ في البعض درجة لا تعهد في اغلب الناس من الدقة والشدة والآخر ان الانسان لا يشعر بكل حركة تصدر منهُ فقد تصدر منهُ حركات كثيرة على غير علمٍ منهُ ولا قصد واذا سُئل عنها انكرها تمام الانكار اعتقادًا انها لم تصدر منهُ والحال انها صدرت .

وبناء على ما تقدّم يذهب اصحاب هذا الرأي الى ان الذين يقرأون افكار غيرهم ويعرفون ضمائرهم اناسٌ شديدو التأثر فيشعرون باقل الحركات التي لا يشعر بها سواهم . فاذا اضمر الانسان شيئًا في ذهنهِ وجمع افكارهُ على ما اضمرهُ احدث ذلك فيهِ حركات طفيفة خفيّة يشعر بها هؤلاء الناس فيستدلّون منها على ما اضمر وصورتهِ ومكانهِ وغير ذلك من ملابساتهِ . كما اذا اخفى الانسان مثلاً دبوسًا في مكان على غير مرأى من قارئ الافكار ثم عصب عيني قارئ الافكار بعصابةٍ واقترح عليهِ وجود ما اخفى فانهُ (قارئ الافكار) يمدّ يدهِ ويتبعهُ مسترشدًا بحركاتهِ الخفيّة الحاصلة عن اجتماع افكارهِ على الشيء الذي اخفاهُ فيمشي حيث يطاوعهُ على المشي ويرجع عن الطريق التي يعصاهُ فيها على غير علمٍ منهُ ولا قصدٍ . قال بعضهم انهُ توصّل بالتجربة والمزاولة الى وجود الدبوس المخفى عني بعد ان كنت لا اجدهُ وقد علمت بالاختبار ان اتبع قائدي في الطريق التي التي اقلّ المقاومة منهُ فيها. قالوا وعلى ذلك يشتي حكم كل الاعمال التي يمسّ قارئ الافكار فيها عضوًا من اعضاء المفروءة افكارهُ واما الاعمال التي لا يمسّهُ فيها فيستدلّ عليها بغير حاسّة اللمس كالبصر

والذي يظهر لنا ان هذا الرأي يعلّل اعمالاً كثيرة من اعمال قارئي الافكار ولكنهُ يقصر عن تعليل بعضها وفيهِ محلٌ للانتقاد من ثلثة اوجه الاوّل ان شعور بعض الناس بمثل هذه الحركات الطفيفة التي تخفى على الاكثرين أولى ان يكون بقوة خصوصية فيهم من ان يكون بدقة زائدة في شعورهم فنفرض حصولهِ عن قوة خصوصيّة اقلّ غرابةً من فرض حصولهِ عن دقة في الشعور وعلى هذا الفرض يدخل القسم الاوّل الذي نحن بصددهِ في القسم الثاني . والوجه الثاني ان قارئي الافكار قد يقرأون افكار غيرهم حين لا يكون بينهم اتصال لا بحاسّة اللمس ولا بغيرها من الحواس خلافًا لمقتضى الرأي . والوجه الثالث ان حصول حركات في الانسان على غير علمٍ منهُ ولا قصدٍ واقع مسلم بهِ ولكن الشعور بتلك الحركات وادراك معناها لا يكونان الاّ بعلم وقصدٍ من مدركها . وذلك مخالف لما يعهد في قارئي الافكار فانك اذا سألتهم كيف عرفتم ضمير فلان قالوا لا نعلم وكل ما نعلمهُ انهُ اذا اقترح احد شيئًا جليًا وحصر ذهنهُ فيهِ لاحت في اذهاننا صورة ذلك الشيء كما هي في ذهنهِ فعلمها . وهذا القول لا يكذّبهُ اصحاب الرأي الذي نحن بصددهِ لانهُ منقول عن كثيرين من اهل الصدق والاستقامة . ولذلك تكلّفوا تفسيرهُ بان الانسان قد يشعر بامور كثيرة فيدرك معناها وهو لا يعلم انهُ شعر بها فكأن علمهُ بها يكون بالفعل المنعكس لا بالوجدان . وهذا التفسير ظاهر التكلف وليس عليهِ دليل فلا يعوّل عليهِ

والقسم الثاني يشمل آراء شتى كلها مشتركة في ان قارئي الافكار يقرأها بقوة تؤثر في دماغهِ

نفس التأثير الذي يكون في دماغ غيره فالبعض يزعمون انهُ يوجد في العقد العصبية الكبيرة في الدماغ وغيره قوةٌ كامنة تنهيج عند اجتماع الفكر على صورة في الذهن فتخرج من العقد سائرةً على الاعصاب حتى تدخل جسد شخص آخر وتصل الى دماغهِ فتحدث فيهِ نفس الصورة الحادثة في دماغ الذي خرجت منهُ فيعرف افكارهُ . وهذا كافٍ لتعليل كل ما يُروى عن غرائب قرّاء الافكار لو ثبت وجود هذه القوة في الناس وانتقالها منهم على ما ذكرنا . وقد زعم البعض انها هي سبب تنويم الواحد للآخر كالتنويم الصناعيّ المعروف بالمسمرم وان وجودها قد ثبت بهذه التجربة وهي ان نملأ ثلث اكؤس ماء ونعصب عينا الشخص الذي ينوّم تنويمًا صناعيًا ونضع المنوّم يدهُ فوق كأس منها بحيث لا يراهُ المنوّم ولا يراها . ثم نُنبّهُ العصابة عن عينيهِ فيذوق طعم الماء في كل من الثلث فيعرف التي وضع المنوّم يدهُ عليها من سواها زاعمًا ان لمائها طعمًا خاصًا يهِ اكتسبهُ من القوّة التي خرجت من يد المنوّم . وما زالوا يقدّمون ذلك حجةً على وجود هذه القوة وخروجها من شخص الى آخر حتى تبينوا اخيرًا ان الذي يميز الكأس المقصودة من سواها يميز ذلك بقراءة افكار الشخص الذي وضع يدهُ عليها بدليل انهُ اذا شتت هذا الشخص افكارهُ بحيث لا تستقرّ على الكأس المقصودة لم يقدر ذلك على فرزها ولا على اقرار حكمهِ على واحدةٍ منها دون غيرها . فثبت بذا ان القوّة التي زعموا وجودها وجعلوها علّةً لقراءة الافكار هي غير موجودة وما يوهم بها انما هو معلول لقراءة الافكار لا علّةٌ لهُ

والبعض يزعمون ان الانسان اذا فكّر في امرٍ تنهيج في دماغهِ قوة كالقوّة الكهربائية وهذه تنهيج في دماغ غيره قوّة مثلها على حكم ما يعرف في علم الطبيعة بالحمل الكهربائي . فيتأثر دماغ هذا الشخص الثاني كما يتأثر دماغ الشخص الاول فتلوح في ذهنهِ نفس الصورة التي يفكّر فيها الشخص الاوّل . والبعض يزعمون غير ذلك مما لا نتعرّض لهُ خوف الاطالة على غير طائل . ويلوح لنا ان اقرب هذه الاقوال الى الصواب هو قول الذين يظنون انهُ ينهيج في دماغ الواحد قوّة كالكهربائية عند التفكر فتنهيج قوة أخرى في دماغ الآخر . لان حدوث الافكار في الدماغ يستلزم ظهور قوة او اكثر من القوى الطبيعية وقد اثبتوا ظهور قوة الحرارة فيهِ فلا يبعد ظهور القوة الكهربائية ايضًا . واذا ثبت ذلك بمثل ثبوت سائر ما يليهِ من الامور المذكورة آنفًا والله تعالى أعلم

بيتان بطلب تفسيرهما

للهِ فضلٌ ليسَ ينكرُ قدرهُ ... والجودُ قد شهدَت بهِ آثارهُ
الشهبُ بندقةٌ ونونُ هلالهِ ... قوسٌ ومكيُ الغمام غبارهُ .

بيروت — احد قراء المقتطف